

**Semiotic Study in the Poem "Gharib Ali Al-Khaleej" In the light of  
Michael Riffaterre's theory**  
**Abdolvahid Navidi<sup>1\*</sup> | abbas Yadollahi Farsani<sup>2</sup> | Ali Hazabizadeh<sup>3</sup>**

١. (Responsible writer) (Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran. [a.v.navidi@scu.ac.ir](mailto:a.v.navidi@scu.ac.ir))

٢. (Associate Professor in the Department of Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran. [yadollahi.a@scu.ac.ir](mailto:yadollahi.a@scu.ac.ir))

٣. (PhD's student in Department of Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran. [www.alihazabi1992@gmail.com](mailto:www.alihazabi1992@gmail.com))

Semiotics, as semantics and signs, tries to reveal the code of symbols and ambiguities that lie in the poetic text in order to open the meanings to the recipient and the continental. One of the theories of modern semiotics is Revater's theory; Riffaterre believes that the recipient through his linguistic and literary ability can derive two types of reading, namely discovery reading and retrograde reading. Discovery reading is the reading that does not go into the depths of meanings, but is concerned with the phenomena of meanings, but the feedback reading is the one that tries to discover the symbols of the text, its meanings and secondary purposes. There are also other elements in this theory that are considered elements of feedback reading, such as descriptive systems, matrix, and the main nucleus, which will also help in a deep understanding of the text. In this study, a poem on the Gulf was studied on the basis of the descriptive analytical approach and the results showed that this poem from the grammatical point of view has few grammars, but from the semantic point of view, it has a lot of departure from the norm and semantic displacement that appeared on various rhetorical forms such as metaphor, metaphors and metaphors.

**Keywords:** Semiotics, Riffaterre, Badr Shaker Al-Sayyab, Qasida Gharib Ala Al-Khaleej.

## قراءة سيميائية لقصيدة «غريب على الخليج» مقارنة وفق نظرية مايكل ريفاتير

عبدالوحيد نویدی ✉<sup>١</sup> | عباس يداللهی فارساني<sup>٢</sup> | علي حزابي زاده<sup>٣</sup>

١. (الكاتب المسؤول) أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران. البريد الإلكتروني: [a.v.navidi@scu.ac.ir](mailto:a.v.navidi@scu.ac.ir)

٢. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران. البريد الإلكتروني: [yadollahi.a@scu.ac.ir](mailto:yadollahi.a@scu.ac.ir)

٣. طالب دكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران. البريد الإلكتروني: [www.Ali hazabi1992@gmail.com](mailto:www.Ali hazabi1992@gmail.com)

### الملخص

السيميائية باعتبارها علم الدلالات والعلامات، تحاول أن تكشف عن شفرة الرموز الذي يكمن في النص الأدبي حتى تفتح المعاني للمتلقى والقارئ. إحدى نظريات السيميائية الحديثة هي نظرية ريفاتير، والذي يرى أن المتلقي من خلال مقدرته اللغوية والأدبية يستطيع أن يستخلص نوعين من القراءة؛ القراءة الاكتشافية والقراءة الارتجاعية. أما القراءة الأولى فلا تذهب إلى كنه المعاني وأعماقها، بل تهتم بظواهرها فقط، لكن القراءة الثانية تحاول أن تكشف الرموز الموجودة في النص الشعري والمعاني الكامنة فيه والأغراض الثانوية التي يريد الشاعر إيصالها إلى المتلقي. كما أن هناك عناصر أخرى في هذه النظرية تعد من عناصر القراءة الارتجاعية مثل المنظومات الوصفية، والماتريس التي من شأنها أن تساعد في فهم النص فهماً عميقاً. بناء على أهمية قصيدة "غريب على الخليج" التي تعد من القصائد المعاصرة القيمة التي نظمها بدر شاكر السياب، أحد أبرز شعراء العصر المعاصر، يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة سيميائية، وفق نظرية ريفاتير السيميائية، للوصول إلى الدلالات والمعاني العميقة التي تكمن وراء الكلمات والعبارات؛ أظهرت النتائج أن هذه القصيدة من الناحية النحوية تتمتع بلانحويات قليلة، لكنها من الناحية الدلالية تتمتع بالكثير من الخروج عن المألوف والانزياح الدلالي الذي ظهر على أشكال بلاغية مختلفة، مثل المجاز، والكنائيات، والاستعارات. كما أظهرت القراءة الاكتشافية أن النص يعكس مباشرة مشاعر الغربة والحنين من خلال ألفاظ مثل الغريب، البحر، العراق، الدموع؛ مما يجعل النص شديد التأثير من الناحية الشعورية، وبرزت في القصيدة منظومتان وصفتان رئيسيتان: الأولى تتمثل في مفردات الحزن والألم والحرمان، لتعكس مأساة الاغتراب. والثانية ترتبط بمفردات الأمل والشوق.

الكلمات المفتاحية: الشعر المعاصر العربي، السيميائية، غريب على الخليج، السياب، ريفاتير.

## المقدمة

تحليل النصوص الشعرية يعد من المجالات الحيوية في الدراسات الأدبية، حيث يسعى إلى فهم الأبعاد الجمالية واللغوية والرمزية التي تحملها هذه النصوص. الشعر المعاصر العربي، بخصائصه الفريدة، يعكس التغيرات الأدبية والفكرية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي شهدتها العالم العربي في العقود الأخيرة؛ وهو من أبرز مظاهر الإبداع الأدبي التي شهدتها الساحة الثقافية، حيث تجسد القصيدة فيه رؤية فنية عميقة تتجاوز الشكل التقليدي للنص الشعري لتحتضن معاني وأبعاداً دلالية متعددة تتطلب من الباحثين أدوات نقدية متجددة تتواءم وروح العصر. ومن أهم هذه الأدوات النقدية هو المنهج السيميائي الذي يفتح آفاقاً واسعة لفهم النص الشعري عبر تحليل العلامات والدلالات التي تزخر بها القصيدة، مما يُمكن القارئ من اختراق الغموض والرمزية المحيطة بالكلمات والصور الفنية، وكشف الثيمات الخفية التي يحملها النص (التومي، ٢٠١٤: ١٥-١٧).

في هذا السياق، يصبح تحليل النصوص الشعرية المعاصرة عملية استكشاف تتطلب من القارئ أن يكون واعياً للرموز والدلالات، وأن يتفاعل مع النص بشكل نقدي. من خلال هذا التحليل، نستطيع الوصول إلى فهم أعمق للرسائل التي يحملها الشعراء المعاصرون، والحصول على تجاربهم الإنسانية تجاه الأحداث التاريخية والمعاصرة. من أهم المناهج التي تساعد النقاد في تحليل النصوص، هو المنهج السيميائي الذي ظهر في أواخر القرن التاسع عشر على يد دي سوسير، إذ يرى أن «بنية اللغة مبدأ أساسي في اللسانيات وأنه فرع من المعرفة العامة للسيميائية». (وينتل، ٢٠٠٢: ٤٦٧) قام دو سوسير بدراسة الرموز والعلامات في النصوص الأدبية بشكل منهجي، معتمداً في تفسيرها على العلاقات القائمة بين الدال والمدلول؛ فهو يرى أن «كل علامة تتشكل من جزئين هما الدال وهو الصورة التي تكون في ضمن الكلام والمدلول وهو المفهوم الذي يدل عليه الدال» (سوسير، ١٣٧٨: ٦٥) إن القصد من الدال عند سوسير هي العلامات والرموز التي تكمن في النص الأدبي كما أن المدلول هو ما تحال إليه تلك العلامات والرموز. إلا أن السيميائية في بداياتها كان جل اهتمامها بالرواية والأدب القصصي، (عرفتبور، ١٤٠١: ٣) ولم تول الاهتمام إلى الشعر؛ إلا أنه فيما بعد وفي القرن العشرين ظهر المنظرون قد انتبهوا إلى هذا الأمر، وجعلوا نظريتهم على أساس القراءة في الشعر والكشف عن العلامات والرموز التي تكمن في النصوص الشعرية. وأحد هؤلاء المنظرين هو مايكل ريفاتير الناقد الفرنسي ذات الأصول الأمريكية.

يرى ريفاتير أن الأشعار تتمتع بالمستويين الظاهري والباطني، (ريفاتير، ٢٠٠١: ١١) وهذا هو الذي جعل النص الأدبي يختلف عن غيره من النصوص؛ إذ أن النص الأدبي

خاصة الشعر يتمتع بالغموض حيث أن الشاعر يتوخى هذا الغموض حتى يرتقي بكلامه إلى مستوى أعلى من النص العادي. يذهب ريفاتير إلى أن هذين المستويين يجب دراستهما بإمعان ودقة، فيقدم القراءتين الاكتشافية والارتجاعية لدراسة هذين المستويين. بناء على ذلك، فإن هذا البحث معتمداً على المنهج الوصفي التحليلي ومن خلال نظرية ريفاتير السيميائية يتوخى دراسة قصيدة غريب على الخليج لبدر شاكر السياب، دراسة سيميائية بهدف كشف المعاني والرموز التي تكمن فيها؛ لأن القصيدة هذه تتمتع بطابع اجتماعي وتحمل دلالات خفية كثيرة وتستخدم فيها العديد من الرموز والعلامات، مما يجعلها مؤهلة لدراسة سيميائية، فيسعى الكاتبون من خلال هذه الدراسة إلى الإجابة عن الاسئلة التالية:

١. ما أهم الخصائص السيميائية التي تكشفها القراءة الاكتشافية في هذه القصيدة وفق منهجية ريفاتير؟
٢. كيف ظهرت عناصر القراءة الارتجاعية في هذه القصيدة، وفق منهجية ريفاتير؟
٣. ما أهم الدلالات الخفية التي تكشفها لنا الدراسة السيميائية للقصيدة وفق منهجية ريفاتير؟

#### خلفية البحث

لاشك في أنّ من أهم ما يساعدنا في كتابة البحوث العلمية هو الاطلاع على ما توصل إليه الباحثون سابقاً؛ فبعد البحث في المصادر ومواقع الأنترنت توصل الباحثون إلى أن هناك دراسات كثيرة قامت بأجراء منهجية ريفاتير السيميائية على النصوص الشعرية، كما أن هناك بحوثاً اهتمت بدراسة وتحليل هذه القصيدة في ضوء نظريات غير نظرية ريفاتير، نركز فيما يلي على البحوث التي كتبت عن السياب والقصيدة المدروسة:

#### الدراسات السابقة

- ١- مقال «الرمزية الإيحائية في شعر بدر شاكر السياب» لـ خيرية عجرش، مجلة التراث الأدبي، (١٣٨٩ش). تظهر نتائج هذا البحث أنّ السياب لم يكن مجرد شاعرٍ حداثي في العراق والعالم العربي، بل كان رائداً في توظيف المذهب الرمزي وإعادة صياغته بما يتلاءم مع خصوصية الشعر العربي. فقد أبانت الدراسة أنّ السياب استلهم الرمزية الأوروبية عبر قراءاته وترجماته للأدب الغربي، ثم صاغ منها رؤية جديدة منح بها الشعر العربي بعداً إيحائياً متميّزاً. وتبيّن أيضاً أنّه أدخل إلى نصوصه عناصر مبتكرة، من أبرزها: توظيف المفردات الدارجة واللغة الشعبية والأمثال والأغاني.

٢- مقال «الطبيعة الرمزية في شعر بدر شاكر السياب ونينا يوشيج» لـ حامد صدقي وجمال أنصاري، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، (١٣٩٢ش) يتناول هذا البحث البعد الرمزي في شعر كلٍّ من نينا يوشيج وبدر شاكر السياب، حيث يكشف كيف استثمر الشاعران عناصر الطبيعة كالأنهار والمطر والغابات والنخيل لتتحول إلى رموز تتجاوز معناها المباشر لتغدو تعبيراً عن الوطن والحرية والخصب. وقد أظهرت الدراسة أنَّ الرمزية عندهما لم تقتصر على البعد الجمالي، بل انفتحت على آفاق اجتماعية وسياسية، إذ صُوِّرَ الوطن في صورة حقل محروق ينتظر أمطار الثورة ليزهر من جديد، وبذلك أُسِسَتْ تجربة شعرية حديثة تمزج بين الإيحاء الفني والهمّ النضالي.

٣- مقال «الظواهر الأسلوبية في قصيدة "غريب على الخليج" لبدر شاكر السياب» لـ مينا بيرزادنيا وراضية قاسمي، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها (١٣٩٣ش). إن في هذا البحث تم دراسة المستويات الثلاثة: اللغوية، الأدبية والفكرية في القصيدة وتوصل الباحثان إلى أن الشاعر في المستوى الصوتي مال إلى التكرار بأنماطه المختلفة وفي المستوى الأدبي استعان بالصور الفنية مثل الانزياحات التشبيهية والاستعارة كوسيلة للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه، ثم إن وحدة الموضوع والفكرة التي تدور حولها القصيدة تتجلى في التعبير عن العناصر البناءة لشخصية الإنسان وهي الحب، والعاطفة، والعقل وما يرتبط به والتعبير عن حالة الحزن والهم التي تنتج من الاستعمار والتخلف.

٤- مقال «مقاربة درامية لقصيدة "غريب على الخليج"» لـ طالب هاشم بدن، مجلة أوراق ثقافية (٢٠٢٠م). أشار الكاتب في هذه الدراسة إلى العلاقة الوثيقة بين الشعر والدراما، مبرزاً أوجه التشابه والتقاطع بين الظواهر الدرامية في المسرح وبين البناء الفني في القصيدة الحديثة. وقد تناول على نحو خاص عناصر بنية القصيدة، وفي مقدمتها الرمز والاستعارة بما تحمله من طاقات إيحائية قادرة على خلق أبعاد درامية داخل النص الشعري. كما توقف عند بنية الإيقاع بوصفها عنصراً مركزياً يرفد الحركة الدرامية ويضفي عليها توتراً وتساعد، لافتاً في الوقت نفسه إلى البنية الدرامية في المسرحية التقليدية وما تتيحه من أدوات وأساليب يمكن للشعر أن يستلهمها في بناء صوره ومشاهده الداخلية.

### منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي في دراسة قصيدة «غريب على الخليج» لبدر شاكر السياب، حيث يتم أولاً توصيف البنية اللغوية والرمزية للنص الشعري، ثم تحليلها على ضوء نظرية مايكل ريفاتير السيميائية، وذلك من خلال تفعيل آلي القراءة الاكتشافية والقراءة الارتجاعية، إضافة إلى تطبيق مفاهيمها الرئيسية مثل الانزياح، والتعبير المتراكمة، والمنظومات الوصفية، والماتريس، والهيوبوغرام، بغية الكشف عن الدلالات العميقة والمعاني الكامنة وراء الألفاظ والصور، وربطها بالسياق الاجتماعي والثقافي الذي أفرز النص.

### الإطار النظري: نظرية ريفاتير السيميائية

نظرية مايكل ريفاتير السيميائية من النظريات النقدية الحديثة التي تحاول أن تكشف الرموز والشفرات في النص الشعري (موسوي بناءه، ١٤٠٣: ٢٢) اعتماداً على مقدرة القارئ اللغوية والأدبية. بعبارة أخرى في هذه النظرية يبدأ القارئ بكشف العلامات والدلالات التي تكمن في النص ومن ثم يحصل على المعاني التي كان الشاعر يريد إيصالها. العناصر التي يعتمد عليها ريفاتير من أجل فهم النص ودلالاته الخفية تنقسم إلى قسمين: القراءة الاكتشافية التي تكون في المستوى الظاهري للنص، والقراءة الارتجاعية التي تُدرس من خلالها المعاني والأغراض الثانوية للشعر.

يخطو المتلقي في القراءة الاكتشافية خطواته الأولى نحو فهم معاني النص ويحاول أن يرجع الكلمات إلى عالم الواقع؛ بعبارة أخرى إن القارئ في هذه المرحلة «يقارن الكلمات والنص حسب الواقع» (ريفاتير، ١٩٧٨: ٢٦). الإرجاع في هذه المرحلة إنما يعتمد على معنى الألفاظ المعجمي ولا يتجاوز ذلك؛ لذا يجب على القارئ أن يتمتع بالمقدرة اللغوية وافية حتى يستطيع أن يفهم الأغراض الشعرية. في هذه المرحلة يستخرج القارئ معاني النص الظاهرة، لكنه لا يستطيع أن يتجاوز الظاهر ومن هنا يرى الحاجة إلى كشف معان ودلالات أعمق وأدق؛ فيدخل في القراءة الأكثر عمقاً ودلالة وهي القراءة الارتجاعية.

في هذه القراءة وهي القراءة الارتجاعية يتعمق القارئ إلى المعاني والدلالات الباطنة في النص الشعري حيث يكون اعتماده في هذه المرحلة على قدرته الأدبية؛ إذ أن هذه المقدرة تفوقه إلى إدراك عناصر مثل تفكيك شفرات الكلمات وصولاً إلى دلالاتها الثانوية والمعاني العميقة. ففي هذه المرحلة «يبدأ القارئ بفك شفرات النص مع تطبيق ما أخرجه من القراءة السابقة» (باينده، ١٣٨٧ش: ١٠٠). وهكذا يتم تطبيق ما بين القراءة الأولى التي كانت ناقصة وليست سوى مفهوماً ظاهرياً للكلمات مع القراءة الثانية التي تُستخرج منها المعاني والأغراض الثانوية.

### اللاقواعدية أو الانزياحيات

إن اللاقواعدية عند ريفاتير هي أي حدث يثير وعي القارئ بالتغيرات في النص والانحراف عن القواعد المعتادة؛ (ريفاتير، ٢٠٠١: ٨) وما يساهم في تغيير عملية اللغة العادية إلى عمل أدبي، فالشاعر في اللغة العادية، «يستخدم تعابير وعبارات يتعرف عليها القارئ في العالم الخارجي فيدرك دلالتها أو مدلوليتها النظامية ومع ذلك، يغير الشاعر بناء هذه اللغة ويحولها إلى اللاقواعدية، وبهذا يتجاوز مستوى المحاكات إلى مستوى المدلولية (أبهرين، ١٣٩٢ش: ١٠). ثم إن الانزياحيات باعتبارها تلك الانحرافات عن النسق النحوي، «تساعد على التعرف على توظيف العلاقة بين المعاني اللغوية والسياق» (محمود خليل، ٢٠١١م: ١٥٨-١٥٩). فالمراد بالانزياحات هو كل خروج عن ظاهر النص الأدبي وإرادة معان ثانوية ترتبط باللغة والسياق معاً.

### التعابير المتراكمة

تظهر التعابير المتراكمة في النص الشعري عندما يتم جمع عدة كلمات تحمل فيما بينها علاقة ترادف وتناسب. تتكون التعابير المتراكمة من خلال التأكيد على المعاني المتشابهة؛ لأنها «تقرب القارئ من معاني القصيدة». (بركت واقتخاري، ١٣٨٩ش: ١١٥). يشتمل التراكم على المفردات والكلمات التي لها جذر ومعنى مشترك؛ غالباً ما يعتمد هذا الجذر المشترك على المرادفات؛ ثم إن ما نعنيه بالترادف هو ليس تكرار للمفردات وإنما المقصود من الترادف هو علاقة تناسب ما بين الكلمات؛ فمثلاً «كلمة الزهرة تعتبر نواة رئيسية لمفردات مثل الياسمين وزهرة الربيع» (مقدسي وسالمي، ١٣٩٩ش: ٤) وهذه المفردات معاً تشكل التعبير التراكمي الواحد. يعتقد ريفاتير أن الكلمات التي تشكل التعابير المتراكمة «بغض النظر عن معناها الأصلي في اللغة العادية فإنها تصبح مترادفة» (ريفاتير، ١٩٨٣: ٣٩) فمثلاً هناك بين كلمات مثل: الطبيعة، المطر، الشمس، العصفور، الشجرة، علاقة مشتركة وهي أن كل هذه المفردات مرتبطة بالطبيعة؛ إذن فالطبيعة تشكل مع هذه المفردات تعبيراً متراكماً يحمل في طياته معاني ورموز مختلفة.

### المنظومات الوصفية

إن المنظومات الوصفية تحصل عندما يجد القارئ مجموعة من الكلمات التي ترتبط معاً عن طريق علاقة بعنصر معنوي واحد. إن العلاقة بين المفردات في المنظومات الوصفية هي علاقة مجازية. إن الأنظمة الوصفية في الواقع تشبه إلى حد

كبير التعابير المتراكمة، والفرق الوحيد بينهما هو أن «الكلمات في الأنظمة الوصفية لها علاقة مجازية مع بعضها البعض، وهذا يعني أنه قد تكون هناك علاقة مثل الاستعارة بين الكلمات في الأنظمة الوصفية» (ألكونه جونقاني، ١٣٩٦ش: ٤٢). في حين أنه في التراكم لا توجد علاقة مجازية. على سبيل المثال، كلمات مثل: الليل، والظلام، والشتاء الطويل، والجدار؛ ترتبط بعبارة "القمع والظلم".

#### الماتريس

إن الماتريس البنيوي في هذه النظرية هو تلك «البنية التي عادة تكون غائبة عن النص وهي مفهوم مجرد لا يتجسد من تلقاء نفسه» (ألكونه جونقاني، ١٣٩٦ش: ٤٠) بعبارة أخرى إن الماتريس هو الموضوع الرئيسي الذي كان ولا يزال يخالج نفس الشاعر، لكن باعتبار أن الشعر كلام مليء بالغموض والدلالات والعلامات، فإن الشاعر يجعل الماتريس ضمن النص الشعري؛ لذا فإن الشاعر قد أخذ الماتريس الواحد وجعله قصيدة كاملة أي أن كل ما عبر عنه الشاعر هو «علامات وإشارات لذلك الموضوع الرئيسي وهو الماتريس البنيوي» (باينده، ١٣٩٧ش، ج ١: ٢١). بعبارة أدق إن «الماتريس البنيوي يشبه إشارة عصبية مكبوتة لا يُسمح لها بالظهور»، (ريفاتير، ١٩٧٨: ٧٦) ولكنها تتجلى بطرق مختلفة في أماكن أخرى من النص.

#### الهييوغرام

إن من وجهة نظر ريفاتير، الهييوغرام هو تلك الجمل المألوفة، أو العبارات التي يجدها القارئ عند قراءة أي نص شعري ويستحضرها في ذهنه (ريفاتير، ١٩٧٨: ٨٥). بعبارة أخرى إن إنتاج النص الشعري يكون من خلال توسيع الهييوغرام؛ وهذا يعني أنه عندما يريد الشاعر أن يكتب قصيدة، فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه ويشكل الموضوع الرئيسي للقصيدة هو الهييوغرام. ويرى ريفاتير أن كل نص شعري هو امتداد لكلمة أو عبارة أو جملة تدور حولها القصيدة.

#### التحليل السيميائي لقصيدة «غريب على الخليج» وفقاً لنظرية ريفاتير

سبقت الإشارة إلى أن نظرية ريفاتير السيميائية تستند إلى فكرة أن النص الأدبي ليس مجرد مجموعة من الكلمات، بل هو نظام معقد من الرموز التي تتفاعل مع بعضها البعض لتوليد المعاني. وفقاً لهذه النظرية، يمكن فهم النصوص من خلال نوعين من القراءة: القراءة الاكتشافية والقراءة الارتجاعية. وفيما يلي يتم دراسة القصيدة المذكورة على أساس هاتين القراءتين:

### القراءة الاكتشافية

في هذه القراءة يذهب القارئ إلى قراءة النص الشعري من الأعلى إلى الأسفل. ويعتبر حسب قدرته اللغوية كل لفظ بمثابة علامة ترتبط بمعناها في العالم الخارجي. (ريفاتير، ٢٠٠١م: ٥). فإن فهم القارئ وتلقيه في هذه المرحلة يعتمد على فهم النصوص الظاهرية وفقاً لمقدرته اللغوية والإرجاعات إلى معاجم اللغة. لهذا فإن القارئ يجب أن يكون ذا مقدرة لغوية واسعة حتى يستطيع أن يحيل المفردات إلى معانيها اللغوية والمعجمية. وأهمية دراسة الألفاظ في النظريات السيميائية تكمن في أن الشاعر عندما يريد أن يجعل علامة أو دلالة خفية لابد له أن يختار الكلمات حسب ما يريد منه الشعر. فالدراسات السيميائية تهتم بالمفردات والألفاظ «انطلاقاً من الدور الإبلاغي الوظيفي الذي تؤديه كل من الكلمات في النص الشعري» (سعدية، ٢٠١٦م: ٤٤). فيما يلي ندرس القصيدة من بدايتها إلى نهايتها تمهيداً للقراءة الارتجاعية.

تتميز قصيدة "غريب على الخليج" بلغة غنية ومعبرة، حيث يستخدم الشاعر أسلوباً شعرياً متنوعاً يتضمن التكرار والاستعارات والتشبيهات والتقابلات والترادفات. هذه العناصر اللغوية تعزز من قوة التعبير عن المشاعر وتجعل القارئ يشعر بعمق التجربة الإنسانية التي يمر بها الشاعر. عند تطبيق القراءة الاكتشافية على القصيدة، يمكن ملاحظة استخدام الشاعر للألفاظ والتعبيرات المجازية التي تعكس شعوره بالاغتراب. تعبر الألفاظ عن مشاعر الحزن والفقدان، مما يساهم في خلق جو من الكآبة والحنين إلى الوطن. فالقصيدة تصور مشاعر الشاعر في المنفى، وتعبر عن حنينه الشديد لوطنه العراق. في الجزء الأول من القصيدة يصف الشاعر مشهداً على شاطئ الخليج: «الريخُ تَلَهَّثَ بالهَجِيرَةِ...» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٦) جالساً على الرمال، ناظراً إلى الخليج بحيرة: «وَعَلَى الرِّمَالِ، عَلَى الْخَلِيجِ جَلَسَ الْغَرِيبُ، يُسْرِخُ الْبَصَرَ الْمُحَيَّرَ فِي الْخَلِيجِ...» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٦). وفجأة تنفجر في نفسه صرخة حنين للعراق: «صَوْتُ تَفَجَّرَ فِي قَرَارَةِ نَفْسِي التَّكْلَى: عِرَاقُ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٦). لكنه يشعر أن العراق بعيد جداً عنه، والبحر يفصل بينهما: «الْبَحْرُ أَوْسَعُ مَا يَكُونُ، وَأَنْتَ أَبْعَدُ مَا تَكُونُ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٦). ثم يستعيد ذكريات وطنه وذكريات طفولته مثل: وجه أمه، صوتها، النخيل، حكايات العجائز ومشاهد من الحياة اليومية مثل التنور، وأحاديث النساء، وسهرات الرجال؛ ويعبر عن شوقه الشديد للعراق ويشبه شوقه بجوع الغريق للهواء وشوق الجنين للولادة: «شَوْقٌ يُخَضُّ دَمِي إِلَيْهِ، كَأَنَّ كُلَّ دَمِي اسْتَبْهَأَ/ جُوعٌ إِلَيْهِ... كَجُوعِ كُلِّ دَمٍ الْغَرِيقِ إِلَى الْهَوَاءِ/ شَوْقُ الْجَنِينِ إِذَا اشْرَأَبَ مِنَ الظَّلَامِ إِلَى الْوَلَادَةِ!» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٨)

وفي النهاية يدرك استحالة عودته لأنه يفتقد للنقود اللازمة للعودة ويشعر باليأس والحسرة لعدم قدرته على العودة، طارحاً تساؤلات مريرة حول كيفية توفير النقود في ظل هذه الظروف الصعبة: «وَا حَسْرَتَاهُ!.. فَلَنْ أَعُودَ إِلَى الْعِرَاقِ! / وَهَلْ يَعُودُ/ مَنْ كَانَ تَعُوزُهُ النُّقُودُ؟ وَكَيْفَ تَدَّخِرُ النُّقُودَ/ وَأَنْتَ تَأْكُلُ إِذْ تَجُوعُ؟ وَأَنْتَ تُنْفِقُ مَا يَجُودُ/ بِهِ الْكَرَامُ عَلَى الطَّعَامِ؟» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢، ١٠-١١). والشيء الوحيد الذي يملكه هو الدموع والانتظار وهو يعرف أنهما لا يفيدانه للعودة: «لَتَبْكَيْنَ عَلَى الْعِرَاقِ،/ فَمَا لَدَيْكَ سِوَى الدَّمُوعِ/ وَسِوَى انْتِظَارِكَ، دُونَ جَدْوَى، لِلرِّيَّاحِ وَلِلْقُلُوعِ!» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢، ١١). فالقصيدة هذه تمثل بشكل مؤثر مشاعر الحنين والغربة والألم التي يعيشها الشاعر في المنفى، وتعكس ارتباطه العميق بوطنه العراق رغم البعد الجغرافي. فالقارئ يلمس سيميائية العبارات الدالة على أبعاد جمالية، ترتبط بلغة الشاعر الخارجة عن الاستخدام اللغوي المألوف.

### القراءة الارتجاعية

أما في القراءة الارتجاعية، فإننا نبحث عن الدلالات العميقة والمعاني الخفية وراء الكلمات وذلك يتم من خلال تحليل ودراسة اللاقواعدية، والتعبير المتراكمة، والمنظومات الوصفية، والهييوغرام، والماتريس البنيوي.

### اللاقواعدية

إن اللاقواعدية «هي الجوانب النصية التي تبدو متناقضة في القراءة الاكتشافية، ولكن يُحُلُّ هذا التناقض من خلال إعادة قراءة النص اعتماداً على البنى الرمزية الأساسية.» (ألن، ١٣٨٠ش: ١٦٧) سبقت الإشارة إلى أن العدول في نظرية ريفاتير يتمحور حول محورين هما: الخروج عن القواعد النحوية العامة الحاكمة على النص والخروج الدلالي؛ أي خروج المفردات عن معانيها المعجمية إلى أغراض ومعاني ثانوية. بعبارة أخرى وفقاً لنظرية ريفاتير فإن اللاقواعدية «تتضمن كل حدث يجلب تنبيه القارئ إلى التغييرات في النص» (ريفاتير، ٢٠٠١م: ٨). فالقارئ باعتبار أنه يتسلح بمقدرة لغوية وأدبية «عند مواجهة عناصر اللاقواعدية، يضطر إلى الكشف عن مستوى أعلى من المعنى من أجل الكشف عن المعاني والدلالات النصية» (سلدن، ١٣٨٤ش: ٨٥). أما بالنسبة للعدول النحوي يمكن الإشارة إلى أسلوب التقديم والتأخير، فإنه يُعدّ من الأساليب المهمة في البلاغة العربية، حيث يُغيّر التركيز الدلالي دون الإخلال بالإعراب.

«زحَمَ الخَلِيجَ بِهِنَّ مُكْتَدِحُونَ جَوَّابُو بَحَارٍ/ مِنْ كُلِّ حَافٍ نِصْفٌ عَارِي»  
(السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٦). من الملاحظ في البيت السالف أن السياب قدم المفعول به وهو لفظ «الخليج» على الفاعل وهو «مُكْتَدِحُونَ جَوَّابُو بَحَارٍ»؛ إن تقديم المفعول به هنا مع أن حقه التأخير عن الفاعل، يدل دلالة واضحة على مدى سيطرة الخليج على ذهن السياب وغربته في بلد غير بلده.

«وَعَلَى الرَّمَالِ، عَلَى الْخَلِيجِ؛ جَلَسَ الْغَرِيبُ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٦). قدم الشاعر الجارين والمجرورين «عَلَى الرَّمَالِ، عَلَى الْخَلِيجِ»، على الفعل (جَلَسَ) والفاعل (الْغَرِيبُ). بينما وفقاً للقواعد النحوية فإن الأصل في الجملة الفعلية: (الفعل + الفاعل + المفعول + الفضلات). ثُمَّ إن ما قدمه السياب في هذا البيت هو لفظتا الخليج والرمال ليصبح التركيز على المكان ويبرز أهميته في المشهد، ويجعل القارئ يتخيل المكان أولاً قبل الحدث (جَلَسَ) والفاعل (الْغَرِيبُ). فالشاعر يريد من خلال هذا التقديم التأكيد على غرابة الموقف ووحده فيه.

«فَتَذَرُ فِي عَيْنَيَّ، مِنْكَ وَمِنْ مَنَاسِمِهَا، غُبَارٌ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٩). قد فصل الشاعر في هذه المقطوعة بين الفاعل والفعل بثلاث من الجار والمجرور، وهي (في عَيْنَيَّ، مِنْكَ وَمِنْ مَنَاسِمِهَا) مؤكداً على المكان (في عَيْنَيَّ) والسبب (مِنْكَ وَمِنْ مَنَاسِمِهَا)؛ وذلك لأن الشاعر أراد أن موقع الغبار وسببه هو الأهم لا الغبار نفسه. كما أن الشاعر أحر كلمة (غُبَارٌ) وجاء بها في نهاية الشطر ليبقى أثرها عالقاً كالغبار نفسه.

«فَأَنَا الْمَسِيحُ، يَجُرُّ فِي الْمَنَقَى صَلِيبَهُ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٩). قدّم الجار والمجرور (في الْمَنَقَى) على المفعول به (صَلِيبَهُ)؛ وذلك ليدل على غربته للعينة التي مازالت تلازمه وأنه مع غربته التي لا تطاق فهو كالمسيح لا يترك صليبه. لقد استخدم الشاعر هنا قناعين هما المسيح وصليبه؛ أراد بالمسيح هو نفسه الذي مازال عاشقاً لوطنه ومكانه الأزلي وأراد بالصليب وطنه الذي يحمل حبه في قلبه.

إن النوع الثاني والأهم من الانزياح والذي يؤكد عليه ريفاتير في نظريته هو الانزياح الدلالي. وهو عبارة عن الدلالات والعلامات التي تحمل معاني وأغراض ثانوية تظهر على أشكال مختلفة من الاستعارة والكناية والمجاز؛ يرى ريفاتير أنه يجب «تخطي القراءة الأولى والولوج إلى القراءة الثانية وصولاً إلى الدلالات الأكثر عمقاً» (ريفاتير، ٢٠٠١م: ٣). لقد وظف السياب هذا النوع من الانزياح في قصيدته بكثرة وهو على النحو التالي:

لقد استخدم الشاعر الصور البيانية وخاصة الاستعارة في هذه القصيدة بشكل كثير، وذلك لأن الاستعارة في الواقع هي «نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيرها لغرض؛ وذلك الغرض إما يكون لشرح المعنى أو تأكيد أو المبالغة فيه»

(العسكري، ١٩٧١م: ٢٠٥). ثم إن كل من هذا العدول الدلالي قد يساهم كثيراً في إيصال المعنى الذي كان يخالجه نفس الشاعر إلى القارئ والمتلقي. فإن القارئ الذي يتمتع بالمقدرة اللغوية والأدبية عندما يواجه هذا النوع من العدول لا يمر عليه مرور الكرام، بل يقف متأملاً ومتأنياً جمالياته وفصاحة مفرداته وبلاغة الفاظه. فيما يلي نشرح أهم الانزياح الدلالي:

«الريح تَلَهَتْ بالهجيرَة، كالجَنَام، على الأصيل» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٦).  
شبه الشاعر من خلال الاستعارة المكنية، الريح بـ«الكلب» الذي يلهث ويتنفس بصعوبة عند التعب أو الجهد الشديد. هذا التشبيه يمنح الريح صفة الكائن الحي المتعب الذي يلهث، مما يجعل حركة الريح محسوسة ومرئية كأنها كائن يتنفس بصعوبة ويعاني من العطش أو التعب. في نفس العبارة، استخدم الشاعر عنصر التشبيه حيث شبه الريح في وقت الحر (الهجيرَة) بـ(الجَنَام)، وهو «الكابوس» (آذرنوش، ١٣٩٤ش: ١١٩). فالشاعر يريد أن يقول أن الريح لا تهدأ، بل تثقل وتضغط على الأصيل كما يثقل الكابوس على الإنسان في النوم. يولد هذا التشبيه إحساساً بالثقل والاختناق والتعب، ويعكس حالة القهر والاختناق النفسي الذي يشعر به الشاعر في غربته.  
«جُوعٌ إِلَيْهِ... كَجُوعِ كُلِّ دَمٍ الْغَرِيقِ إِلَى الْهَوَاءِ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٨).  
يشبه الشاعر شوقه للعراق بجوع الغريق إلى الهواء، أي شوق وجودي، متعلق بالحياة والموت. هذا التشبيه يصور الحب والحنين للوطن على أنه مسألة حياة أو موت، ويضيف طابعاً درامياً قوياً على التجربة الشعرية.  
«شَوْقُ الْجَنِينِ إِذَا اشْرَأَبَ مِنَ الظَّلَامِ إِلَى الْوَلَادَةِ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٨).  
يشبه نفسه بالجنين في الظلام (الغربة) الذي يشنق إلى الولادة (العودة للوطن). تشبيهاً مبتكراً، يربط بين العودة للعراق وبين الولادة من جديد، مما يضيف بُعداً نفسياً وروحياً عميقاً.  
«هِيَ وَجْهٌ أُمِّي فِي الظَّلَامِ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٧).  
استعارة تجمع الأم بالوطن، فوجه الأم لا يظهر في الظلام، لكنه يمثل الحنان والدفع والهوية. هذا المزج بين الأم والوطن يعطي بُعداً وجدانياً، فالوطن كالأم، حتى في ظلام الغربة، يظل مشعاً في الذاكرة.

#### التعابير المتراكمة في قصيدة «غريب غلي الخليج»

التعابير المتراكمة هي إحدى العناصر المهمة والأساسية في نظرية ريفاتير؛ وفقاً لهذه النظرية فإن «اجتماع عدة كلمات ذات معنى مشترك يسمى بالتعبير التراكمي». (بركت وافتخاري، ١٣٨٩ش: ١١٨) إن التعابير المتراكمة «تظهر عندما يواجه القارئ

عدة كلمات ترتبط بعضها ببعض من خلال معنى مشترك نحو الوردية حيث تكون المعنى المشترك لألفاظ مثل دوار الشمس والنجس والياسمين» (دبنة سن، ١٣٨٠ش: ١٥٤) وفقاً لهذه النظرية فإننا نلاحظ في هذه القصيدة ثلاث تعابير مترابطة بعناصر الطبيعة. إن الألفاظ الطبيعية في شعر السياب تتمتع بمكانة خاصة ورمزية، وتستخدم كأداة للتعبير عن المشاعر الداخلية، والقضايا الاجتماعية والسياسية، لقد استخدم السياب في شعره هذه الألفاظ كلغة مجازية للتعبير عن آلامه ومعاناته وأماله واشتياقه إلى وطنه وصراعاته الداخلية. ويظهر من خلال فحص القصيدة أن هذه المفردات تنتثر بشكل كثيف في القصيدة:

| ألفاظ الطبيعة                                                                                                                                                                                                                                                                  |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| الريح- الهجيرة- الأصيل- الخليج- البحر- الرمال- الضياء- العباب- المد- السحابة- الموج- البحر- الأفلاك- الظلام- النخيل- الغروب- المساء- الليل- الدجى- الهواء- الشمس- تربة- غبار- ماء- كواكب- الأرض- الصباح- السماء- النسمات- برد- عتمات- شعاب- الظلام- المطر- الأفق- الرعد- النار |

هذه المفردات تتشكل في إطار وصف الطبيعة، حيث تتداخل عناصرها لتبرز المشاعر الداخلية للشاعر. لاستخدام هذه الألفاظ الطبيعية في القصيدة أهمية كبيرة ولها معان ودلالات. إنها تمثل ارتباط الشاعر العميق بالطبيعة، فمن خلالها يستطيع نقل مشاعره وتجاربه وانفعالاته بشكل أدق وأعمق وأكثر حيوية وتأثيراً على القارئ. فهذه الألفاظ ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعنوان القصيدة (غريب على الخليج)، يمكن تقسيمها إلى عدة مجموعات؛

١- منها ما يدل على حالة الوحدة والغربة والاغتراب التي يعيشها الشاعر في بلد غير بلده الأم. الرمال ترمز إلى أرض الغربة التي يجلس عليها الشاعر. والبحر والخليج يمثلان الغربة والبعد عن الوطن، ويرمزان إلى العائق بين الشاعر ووطنه. «وَعَلَى الرَّمَالِ، عَلَى الْخَلِيجِ/ جَلَسَ الْغَرِيبُ، يُسْرُخُ الْبَصَرَ الْمُحَيَّرَ فِي الْخَلِيجِ/ الْبَحْرُ أَوْسَعُ مَا يَكُونُ، وَأَنْتَ أَبْعَدُ مَا تَكُونُ/ وَالْبَحْرُ دُونَكَ يَا عِرَاقَ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٦). أما الشمس فقسّمها الشاعر إلى قسمين: الشموش الأجنبية وهي شمس المنفى القاسية، مقابلها الشمس التي تشرق في العراق وهي على حد ما قال الشاعر، جميلة غير قاسية: «تَحْتَ الشُّمُوسِ الْأَجْنَبِيَّةِ،/ مُتَخَفِقَ الْأَطْمَارِ، أَبْسُطُ بِالسُّؤَالِ يَدًا نَدِيَّةً،/ صَفْرَاءَ مِنْ ذُلٍّ وَحُمَى: ذُلٌّ شَحَاذٍ غَرِيبٍ، بَيْنَ الْعُيُونِ الْأَجْنَبِيَّةِ،/ بَيْنَ احْتِقَارٍ، وَانْتِهَارٍ، وَازْوِرَارٍ أَوْ (خَطِيئَةٍ)» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٩).

أما الغروب والمساء والليل والدجى تعكس جميعاً الحالة النفسية الكئيبة للشاعر في غربته. أما الليل فقسّمه السياب إلى نوعين: نوع جاء به ليعبر عن ماضي وطنه الجميل

وذكرياته فيه ونوع آخر يدل على الغربة والاغتراب والظلمة والألم والوجع كما جاء في النص الآتي: «وَهِيَ النَّخِيلُ أَخَافُ مِنْهُ إِذَا ادْلَهَمَ مَعَ الْغُرُوبِ/ فَكُنْتُ بِالشُّبَّاحِ تَخْطِفُ كُلَّ طِفْلٍ لَا يُوُوبُ/ مِنَ الدُّرُوبِ، يَا أَنْثَمَا، مِصْبَاحُ رُوجِي أَنْثَمَا/ وَأَتَى الْمَسَاءُ/ وَاللَّيْلُ أَطْبَقُ، فَلْتُشِعَّ فِي دُجَاهُ فَلَا أَتِيهِ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٧). هذه المفردات تحمل في طياتها دلالات عميقة وتمثل مجموعة من الرموز والدلالات التي تعكس مشاعر الشاعر وتجربته، وتدل على الحزن والأسى الذي يحيط بكيان الشاعر بأكمله ويضعه تحت ضغط كبير. فالشاعر يأتي بها لتعبر عن مشاعر الوحدة والفقد، لأنهما يكونان رمزاً للعزلة والظلام.

٢- ومنها ما يدل على حنين الشاعر الشديد وشوقه لوطنه العراق: فيحول الريح هنا إلى صوت ينادي باسم العراق، ويرمز إلى حنين الشاعر وشوقه لوطنه: «الريحُ تَصْرُخُ بي: عِرَاقُ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٦). كما أن المد والموج يشيران إلى قوة الحنين والشوق المتصاعد في نفس الشاعر. «صوتٌ تَفَجَّرَ في قَرَارَةِ نَفْسِي التَّكْلِي: عِرَاقُ/ كَالْمَدِّ يَصْعَدُ، كَالسَّحَابَةِ، كَالدَّمْعِ إِلَى الْعُيُونِ/ الرِّيحُ تَصْرُخُ بي: عِرَاقُ/ وَالْمَوْجُ يُعَوِّلُ بي: عِرَاقُ، عِرَاقُ، أَيْسَ سَيُوى عِرَاقُ!» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٦) أما الهواء فيشبهه الشاعر جوعه للوطن بجوع الغريق للهواء، مما يدل على شدة الحاجة والضرورة الحيوية، وشوقه العميق وحنينه الجارف للوطن وعمق ارتباطه الشديد به، بمعنى آخر، كما يحتاج الإنسان إلى الهواء ولا يستطيع البقاء على قيد الحياة بدونه، فإنه يحتاج أيضاً إلى وطن ولا يستطيع البقاء على قيد الحياة بدونه.

٣- ومنها ما ينم عن ماضي الشاعر وجمال الوطن وذكرياته. فالنخيل يرمز إلى العراق وذكريات الطفولة، كما أن الأفلاك ترمز إلى هذه الذكريات والأحلام المرتبطة بالوطن. «وَهِيَ النَّخِيلُ أَخَافُ مِنْهُ إِذَا ادْلَهَمَ مَعَ الْغُرُوبِ/ وَكُنْتُ دَوْرَةَ أُسْطَوَانَهُ/ هِيَ دَوْرَةُ الْأَفْلَاقِ مِنْ عُمْرِي، تُكَوِّرُ لِي زَمَانَهُ/ فَأَجِسُّ أَنَّ عَلَى الْوَسَادَةِ/ مِنْ لَيْلِكَ الصَّنِيفِي طَلًّا فِيهِ عِطْرُكَ يَا عِرَاقُ؟» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٧)

أما الشمس التي طلعت في العراق فهي ترمز إلى جمال الوطن وتألقه وتفوقه على غيره في نظر الشاعر. كما أن الظلام في العراق هو شيء جميل، والليالي السابقة التي قضاهما الشاعر في العراق جيدة. «الشَّمْسُ أَجْمَلُ في بِلَادِي مِنْ سَوَاهَا، وَالظَّلَامُ/ حَتَّى الظَّلَامُ هُنَاكَ أَجْمَلُ، فَهُوَ يَحْتَضِنُ الْعِرَاقُ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٨).

أما التربة فتدل على الارتباط العميق بأرض الشاعر ووطنه: «بَيْنَ الْقَرَى الْمُتَهَيِّبَاتِ خُطَايَ، وَالْمُدُنِ الْغَرِيبَةِ،/ غَنِيْتُ تُرْبَتَكَ الْحَبِيبَةَ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٩). فهذا النوع من الكلمات الطبيعية مرتبطة ارتباطاً مباشراً بموضوع القصيدة الرئيس، وهو الغربة والشوق إلى الوطن. وقد عَزَزَ العنوان (غريبٌ على الخليج)

بشكل جيد من خلال توظيف الشاعر لهذه العناصر الطبيعية، وبالتالي نجح في ترسيم أجواء الوحدة والغربة وشوقه إلى بلده، مما يجعل القارئ يشاركه في أحاسيسه ومشاعره وتجاربه. كما أن التقابل بين جمال طبيعة وطنه وظلمة المنفى وبرودته يوضح جيداً شعوره بالحنين وشوقه للعودة.

#### المنظومات الوصفية في قصيدة «غريب على الخليج»

تشير المنظومات الوصفية إلى مجموعة من الكلمات التي تتجمع حول مفهوم أو موضوع محدد، وتشكل المجاز المرسل معاً. (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٣٤) بخلاف التعبيرات المترجمة التي تركز غالباً على التشابه الدلالي، تتميز هذه المنظومات بأنها تحتوي على روابط دلالية وصور معقدة؛ على سبيل المثال كلمات مثل الليل، والظلام، والشتاء الطويل، والجدار، ترتبط جميعها بمفهوم الظلم والاستبداد. ويظهر من خلال دراسة القصيدة أن الشاعر استخدم عدة منظومات وصفية للتعبير عن تجاربه ومشاعره للقارئ. وسنناقش أدناه أهمها.

#### المنظومة الوصفية الأولى

| منظومة الحزن والألم والحرمان والمعاناة والفقر                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| غريب- حافٍ- نصف عاري- البصر المحير- نشيج (صوت الانسان المرتفع المتردد عند البكاء من غير انتخاب)- المسيح- جرّ الصليب- الضجيج- الثكلى- الدموع- ففدت - الظلام- أخاف- الغروب- تخطف- لايتوب- القبر- المصطلين- الحزين- هباء- المساء- الليل- دمي- جوع- الغريق- الظلام- واحسرتاه- المتهيبات (الخائفات)- الغريبة- المنفى- الجياع- تدمى- مُترَب القدمين- أشعث- الأطمار- صفراء- ذلّ- شحاذٍ- غريب- احتقار- انتهارٍ- ازورارٍ- خطيّة- الموت- اغترابي- عتمات نفسي- الضباب - تجوع- تبكي. |

هذه المنظومة تُظهر ارتباط الشاعر العاطفي بالوطن وحلمه بالعودة إليه رغم استحالة ذلك في واقعه المأساوي. ثم إن كثرة الألفاظ التي تدل على الحزن والألم والحرمان في هذه القصيدة تدل على مدى معاناة الشاعر واغترابه في بعده عن وطنه. وجاء بهذه الكثرة الهائلة من المفردات لتدل على الحزن والألم. أول كلمة تلفت انتباهنا في القصيدة هي كلمة "غريب" والتي جاءت في عنوانها لتتبع عن الوحدة والغربة. هذه الكلمة هنا تدل على هوية الشاعر المُهشمة في المنفى، واستخدمها الشاعر نكرة ليصور شدة غربته ووحدته واكتنابه بحيث أن الغربة قد أثرت في كل كيانه واحتلت الغربة كل أحشائه. ومن المفردات المهمة الأخرى التي استخدمها الشاعر في قصيدته، وأعطاه دلالة سيميائية لتشير إلى معاناته وآلامه وعذابه في المنفى كلمات

"المسيح(ع)" و"جرّ الصليب"، حيث يقول: «غَنَيْتُ ثُرْبَتَكَ الْحَبِيبَةَ،/ وَحَمَلْتُهَا، فَأَنَا الْمَسِيحُ، يَجْرُ فِي الْمَنْفَى صَلِيبُهُ!» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٩). فإن الشاعر يذهب إلى استخدام قناع المسيح والصليب للتعبير عن معاناته في الغربة ويريد بذلك أنه مازال يحمل حب وطنه في قلبه ويجره معه حيثما حل، ويحمل عبء المنفى كما حمل عيسى المسيح صليبه. فوظفت شخصية المسيح بشكل رمزي للإشارة إلى الشاعر الذي يُضحي بنفسه في سبيل حرية وطنه. إن هذا النوع من الاستخدام للرمزية يدل على مهارة السياب وبراعته في توظيف الرموز الدينية والتاريخية للتعبير عن قضايا الغربة والوطنية. ما يلفت انتباهنا هنا هو استخدام فعل "يجر"، فهناك دلالة هامة لايعكسها إلا استخدام هذا الفعل وهي أن الجر يدل على المعاناة والعذاب النفسي الذي يشعر به نتيجة وجوده في الغربة ويعكس التناقض وعدم القدرة على الحمل؛ أي أنه مهزوم من الداخل. فالشاعر يرى عودته الى العراق مستحيلة: «وَا حَسْرَتَاهُ! فَلَنْ أُعَوِّدَ إِلَى الْعِرَاقِ! /؟!» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٩)؛ لأنه لا يمتلك المال والنقود الذي يوصله الى وطنه: «وَهَلْ يَعُوِّدُ / مَنْ كَانَ تَعُوِّدُهُ النُّقُودُ / وَكَيْفَ تَدَّخِرُ النُّقُودُ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ١٠). ثم إن هذا الحزن والألم يصل به في النهاية الى خيبة الأمل واليأس من العودة إلى وطنه العراق: «فَمَا لَدَيْكَ سِوَى الدُّمُوعِ / وَسِوَى انْتِظَارِكَ، دُونَ جَدْوَى، لِلرِّيَّاحِ وَلِلْقُلُوعِ!» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ١١). هذا ما يجعل الشاعر مقيداً لا يستطيع الحركة، وتقيدته أغلال الغربة واستحالة عودته والحزن والألم.

#### المنظومة الوصفية الثانية

| الأمل والشوق للعودة إلى الوطن                                                                                                                                                                |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| العراق- شوق (شوق يخضُّ دمي إليه)- اشتهاؤ (كل دمي اشتهاؤ)- جوع (جوع إليه )- السرور- السعيد- الفرح- المصباح- الطل- الصباح- متى أعود- أحسن (استشعار الأمل)- وجه الأم- تربة العراق- الضحك- السمر |

رغم هيمنة الحزن على القصيدة، يسعى السياب على زرع بذور الأمل عبر استحضار الذكريات، والتصورات الرمزية للعودة إلى وطنه العراق. فتشير الكلمات المذكورة في الجدول أعلاه إلى شوق الشاعر الشديد إلى وطنه العراق مستخدماً صوراً مجازية قوية لإظهار عمق مشاعره وعواطفه. فكلمة العراق تحمل في باطنها معاني رمزية تتجاوز الدلالة الجغرافية والمكانية وتكون بمثابة فضاءً روحياً يعيش في ذاكرة الشاعر. العراق يُشكّل هوية الشاعر وذاكرته التاريخية ويذكره بجمال الماضي وآلام الحاضر ومعاناته. العراق هنا وطن مغتصب يخونه الخائنون الذين تخلوا عن وطنهم، فهو ضحية للاستعمار والفقر والظلم والاستبداد مع أنها لاتزال مصباح روحه في ظلام المنفى: «أَحْبَبْتُ فِيكَ عِرَاقَ رُوحِي، أَوْ أَحْبَبْتُكَ أَنْتَ فِيهِ/ يَا أَنْثَمَا، مِصْبَاحَ رُوحِي

أَنْتُمْ/ شَوْقٌ يُخَضُّ دَمِي إِلَيْهِ/ كَأَنَّ كُلَّ دَمِي اشْتَهَاءٌ/ جَوْعٌ إِلَيْهِ ... كَجُوعِ كُلِّ دَمِ الْغَرِيقِ  
إِلَى الْهَوَاءِ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٨).

الشاعر هنا يعبر عن شوقه العميق لوطنه العراق وفعل (يخضُّ) أي يهز بقوة، يدل على شدة هذه الرغبة، كأنها تحرك دمه. وعبرة «كَأَنَّ كُلَّ دَمِي اشْتَهَاءٌ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٨). تنم عن عمق مشاعر الشاعر، وكأن كيانه كله تحول إلى شغف. وفي عبارة «جوع إليه» يشبه الشاعر شوقه بالجوع، للإشارة إلى حاجته الحيوية إلى وطنه. وفي عبارة «كَجُوعِ كُلِّ دَمِ الْغَرِيقِ إِلَى الْهَوَاءِ» يشبه حاجته إلى الوطن بحاجة الغريق إلى الهواء. والوطن بمثابة الهواء عند الشاعر، أي كما إن الغريق يحتاج إلى الهواء لكي يعيش ولا يموت، فالإنسان لا يمكنه أن يحيى دون الوطن.

#### الهييوغرام

يشير الهييوغرام لدى ريفاتير إلى الجمل المألوفة أو العبارات والكلمات التي يستند عليها القارئ في ذهنه عند قراءتها (ريفاتير، ١٩٧٨: ٣٦). تتمثل طبيعة الهييوغرام في كونه متغيراً، فقد يكون فكرة، أو جملة، أو نصاً مألوفاً (نبيلو، ١٣٩٠: ٨٦). وفي بعض الأحيان، لا يظهر الهييوغرام بشكل صريح داخل النص، بل يتم إدراكه من خلال الكلمات والإشارات الأخرى الموجودة في النص.

تشكل بعض أبيات هذه القصيدة كهيوغرام ضمن بنية النص، والتي تُعبر عن بعد الشاعر عن وطنه العراق ومدى تعلقه به؛ كما أن الشعر في الواقع نتيجة لتوسع وتطوير هذا الهييوغرام؛ وتعرض تلك الأبيات الموضوع الرئيس للقصيدة، ثم من خلال اكتشاف التعابير المترامية والأنظمة الوصفية لهذه القصيدة يمكن الوصول إلى الهييوغرامات التالية:

١. تناول الوضع الاجتماعي والاقتصادي للعراق في ظل الاضطهاد.
٢. إبراز مدى اكتئاب الشاعر وحزنه بسبب بعده عن وطنه.
٣. الإعلان عما يخالج صدره.

#### الماتريس البنيوي لقصيدة غريب على الخليج

يشير مصطلح الماتريس إلى القاعدة الدلالية للنص، وغالباً ما تكون جذر الهييوغرام الذي يتمثل عادةً في كلمة أو عبارة مفتاحية تعبر بتركيز عن الهدف النهائي للشاعر، وتشكل أساس الإحالات الدلالية للرموز والإشارات. (جواني وحميدي كندول، ١٣٨٦: ١٦٣) يعتبر الماتريس مفهوماً تجريبياً لا يظهر عادةً ضمن النص بشكل مباشر، بل أنه يمثل الفكرة الأولية لإنشاء النص الشعري. ثم إن الماتريس بإعتباره أداة تحليلية

يساعد القارئ على استكشاف الروابط بين مكونات النص المختلفة، بما يتيح للقارئ فهماً أعمق وتفسيراً أكثر دقة للنص الشعري.

الماتريس البنيوي للقصيدة يتمحور حول المنفى كحالة وجودية تُذيب الهوية بين الحنين والاستحالة، وهذه الفكرة تُبرز صراعاً داخلياً عميقاً لدى الشاعر. يتجلى هذا الصراع عبر تناقض جوهرى بين الحنين العاطفي العميق إلى العراق، كما يظهر في العبارة «صوتٌ تَفَجَّرَ في قَرَارَةِ نَفْسِي النُّكْلَى: عِرَاقٌ» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ٦)، وبين استحالة العودة التي تعبر عنها عبارة «وَا حَسْرَتَاهُ! فَلَنْ أَعُودَ إِلَى الْعِرَاقِ!» (السياب، ٢٠١٦م، ج ٢: ١٠). هذه الثنائية تمثل النواة التي تنبثق منها كل التحولات الدلالية في النص.

فتعمل الدلالات الفرعية مثل الغربية، النشيج، البصر المحير، الجثام (الكابوس)، دون جدوى، الدموع، الغروب، واحسرتاه، لن أعود، الضجيج، تجوع، نفسي النكلى، لتبكين، على تعزيز الدلالة الأساسية للقصيدة. فالشاعر يجمع بين شعورين متناقضين: ألم الاغتراب المرير والارتباط العاطفي العميق بالوطن المفقود. وبالرجوع إلى القصيدة نلاحظ أنها تبدأ بمخاطبة الخليج مستخدمة العناصر الطبيعية؛ مما يُثري النص ويعمّق دلالاته من خلال تصوير الصراع الثنائي بين الأمل واليأس. بذلك يصبح الماتريس البنيوي بنية متماسكة عاكسة للمشاعر المتناقضة التي يعيشها الشاعر وتُبرز عمق تجربته الإنسانية.

### الخاتمة وأهم النتائج

بعد هذه الرحلة مع قصيدة غريب على الخليج للشاعر بدر شاكر السياب، توصل البحث إلى عدة نتائج:

أما بالنسبة إلى الخصائص السيميائية التي تكشفها القراءة الاكتشافية في هذه القصيدة وفق منهجية ريفاتير فتبين أن قصيدة "غريب على الخليج" تزخر بألفاظ تعبر عن الاغتراب والحزن والشوق للوطن. وأن الشاعر اعتمد على صور بلاغية وتراكيب لغوية توحى بعاطفة حادة وحنين عميق. كما أن القراءة الاكتشافية أظهرت أن النص يعكس مباشرة مشاعر الغربية والحنين من خلال ألفاظ مثل الغريب، والبحر، والعراق، والدموع، مما يجعل النص شديد التأثير من الناحية الشعورية.

أما بالنسبة للقراءة الارتجاعية فأوضحت هذه القراءة الدلالات الرمزية العميقة المخبوءة في النص، حيث ظهر مفهوم اللاقواعدية من خلال التقديم والتأخير، والخروج عن المألوف الدلالي، بهدف تعميق المعنى وإبراز الرمزية. كما وظف السياب الاستعارات والكنائيات والمجازات لإضفاء بعد رمزي على النص. فعناصر القراءة الارتجاعية تجلت في التعابير المتراكمة، منها ما تنتمي إلى الطبيعة، مثل

الريح، والخليج، والليل، والنخيل، والضوء، والتي استخدمها السيّاب لتكثيف مشاعر الاغتراب والحنين. لعبت هذه الألفاظ دوراً مركزياً في بناء الجو النفسي العام للقصيدة، وعكست ارتباط الشاعر العاطفي بوطنه الذي يفتقده في غربته.

لقد استُخدمت منظومتان وصفتان رئيستان: الأولى تتمثل في مفردات الحزن والألم والحرمان، لتعكس مأساة الاغتراب. والثانية ترتبط بمفردات الأمل والشوق، حيث تم استحضار ذكريات الطفولة والبيت والوطن كأداة للتمسك بالأمل رغم البعد والحرمان. هذا التناقض بين الألم والأمل يكوّن عمق النص الشعري.

تمثل الهيئوغرامات في القصيدة العبارات الأساسية التي تدور حولها الأفكار، مثل: "صوت تفجر في قرارة نفسي: عراق"، التي تشكل محور النص وتُظهر مدى رسوخ الوطن في وجدان الشاعر. النص كله يتمحور حول هذه الجملة الرمزية التي تُلخص التجربة الشعورية والروحية.

تجسد الماتريس في فكرة المنفى كواقع وجودي، وهو الهيكل النبوي الأساسي للنص. يُظهر التوتر بين الحنين العميق إلى العراق واستحالة العودة إليه، ليكون نواة معنوية مركزية تتفرع منها باقي الرموز والصور. فكل ما في النص من صور وألفاظ هو انعكاس لهذا الصراع الداخلي بين الشوق والواقع.

#### المصادر

أبهريان، سعيد (١٣٩٢). «تحليل مجموعتي آينهاي برای صداها بر اساس نظريه‌ی نشانه‌شناسی شعر مايكل ريفاتر»، پایاننامه کارشناسی ارشد، دانشگاه کردستان، سنندج.

آذرتاش آذرنوش (١٣٩٤ش). فرهنگ معاصر عربي- فارسي، ط ١، نشر ني، طهران،

آل‌گونه جونقاني، مسعود (١٣٩٦ش). «کاربست ال‌گوي نشانه‌شناختي ريفاتر در خوانش شعر، نشانه‌شناسي شعر»، ویراستار: ذليخا عظيم‌دخت، تهران: نشر نويسه پارسي. ١٧٣-١٩٦.

آلن، گراهام (١٣٨٠ش). بينامتنيت، ترجمه پيام يزدانجو، تهران، نشر مركز.

برکت، بهزاد و افتخاري، طيبه (١٣٨٩ش). «نشانه‌شناسي شعر: کاربست نظريه مايکل ريفاتر بر شعر "اي مرز پرگرهر" فروغ فرخزاد»، فصل نامه پژوهش هاي زبان و ادبيات تطبيقي، دوره ١ شماره ٤: ١٣٠ - ١٠٩.

التومي، منجية (٢٠٢٤م). «معطّلات الفهم في الشعر العربي المعاصر»، مجلة نقد وتنوير، العدد ١٩، السنة ٢٥.

پاينده، حسين (١٣٨٧ش). «نقد شعر ها آي آدم سروده نيما شناسي يوشيج از منظر نشانه شناسي»، نامه فرهنگستان، سال دهم، شماره چهار.

\_\_\_\_\_ (١٣٩٧ش). نظريه و نقد ادبي (درسنامه اي ميان رشته اي). جلد دوم، چاپ اول، تهران: سمت.

جواني، محمد حسين؛ وحيدى كندول، احد (١٣٨٦ش). سير نظريه‌هاي ادبي معطوف به خواننده در قرن بيستم. ادب پژوهي (٣): ١٧٦-١٤٣.

دینه سن، آنه ماری (۱۳۸۰). درآمدی بر نشانه شناسی، ترجمه مظفر قرمان، چاپ اول، آبادن: نشر پرسش.

ریفاتیر، مایکل (۲۰۰۱م). دلالتیات الشعر، ترجمه محمد معتصم، الطبعة الثانية، جامعة محمد الخامس: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

سعدیة، نعیمه (۲۰۱۶م). استراتیجیة النص النموذجي، سوریه: دار الحوار للنشر والتوزيع.

سلدن، رامان (۱۳۸۴ش). راهنمای نظریه ادبی معاصر، ترجمه عباس مخیر، چاپ سوم، تهران: طرح نو.

سوسیر، فردینان (۱۳۷۸). دوره زبان شناسی عمومی، ترجمه کوروش صفوی، طهران: هرمس.

السیاب، بدرشاکر (۲۰۱۶م). الديوان، المجلد الثاني، دار العودة، بیروت.

عرفت بور، زینه (۱۴۰۲). «تحلیل نشانه‌شناختی قصیده الحزن صلاح عبدالصبور بر اساس دیدگاه مایکل ریفاتیر»، ادب عربی، دوره ۱۵، شماره ۳: ۱-۱۶.

العسکری، ابوهلال الحسن ابن عبدالله (۱۹۷۱م). الصناعتین: الكتابة والشعر، بیروت: دار الفکر العربی.

محمودخلیل، ابراهیم (۲۰۱۱م). النقد الأدبی الحديث من المحاکاة إلى التفکیک، ط ۴، عمان: دار المیسرة

مقدسی، ابوالحسن ومحمد سالمی (۲۰۲۰م). «اثر النکسة فی شعر أمل دنقل دراسة سيميائية على ضوء منهج مایکل ریفاتیر» دراسات فی اللغة العربیة وآدابها. ع ۳۱. ص ۱-۲۲

نبی‌لو، علیرضا (۱۳۹۰ش). «کاربرد نظریه نشانه‌شناسی مایکل ریفاتیر در تحلیل شعر ققنوس نیما»، پژوهش‌های زبان‌شناختی در زبان‌های خارجی، سال ۱، دوره ۲: ۸۱-۹۴

Wintle Justin (2002). Makers of modern culture, Routledge.

Riffaterre, Michael (۱۹۷۸). semiotics of poetry, bloomington: indiana university.press.

\_\_\_\_\_ (1983). Text Production, New York: Columbia University Press.

## References

Abharian, S. (2013). Analysis of the Mirror Collection for Sounds based on Michael Riffaterre's Poetic Semiotics, Master's thesis, University of Kurdistan, Sanandaj, Iran (In Persian).

Al-Askari, Abu Hilal Al-Hasan Ibn Abdullah, (1971), Al-Sanaatin: Al-Kataba and Al-Shaar. Beirut: Dar al-Fikr al-Arabi. (In Arabic)

Algoneh Joonghani, Masoud (2017) Application of Riffater's Semiotic Model in Reading Poetry, Semiotics of Poetry , Editor: Zulaikha Azim Dokht, Tehran: Nawisesh Parsi Publishing House. 173-196. (In Persian).

Allen, G. (2001). Intertextuality (P. Yazdanjoo, Trans.). Tehran: Markaz Publishing.

Al-Siyab, (2016) Badrshaker: Al-Diwan, Dar-ul-Audeh, Beirut. (In Arabic).

Eltoumi, M. (2024). Mu'attalat al-fahm fi al-shi'r al-'Arabi al-mu'asir [Obstacles to understanding in contemporary Arabic poetry]. Naqd wa Tanwir Journal, (19). (In Arabic).

Azarnoush, A. (2015). Contemporary Arabic-Persian dictionary (14th ed.). Tehran: Ney Publishing. (In Persian).

Barekat, Behzad and Eftekhari, Taybeh, (2010). Semiotics of Poetry: Application of Michael Riffater's Theory to Forough Farrokhzad's Poem O Merz Pargehar , Quarterly Journal of Comparative Language and Literature Research, Volume 1, Number 4: 130-109 (In Persian).

Dinhessen, A.-M. (2001). Introduction to semiotics (M. Gharaman, Trans.). Abaden: Porsesh Publishing.(In Persian).

Erfatpour, Z. (2023). A semiotic analysis of Salah Abd al-Sabur's poem Al-Huzn based on Michael Riffaterre's perspective. Adab Arabi, 15(3), 1–16 .(In Persian).

Jawari, M. H., & Hamidi Kandoul, A. (2007). The trajectory of literary theories with reference to the twentieth-century reader. Adab Pazhouhi, 3(2), 143–176. (In Persian).

Mahmoud Khalil, Ibrahim (2011). Modern Literary Criticism from Imitation to Deconstruction, 4th ed., Amman: Dar Al-Maysarah. (In Arabic)

Moghdisi, Abolhassan and Mohammad Salemi (2020). Effect of al-Naksa in the poetry of Amal Dangqul, a semiotic study of the light of Michael Rifater's method Studies in Arabic Literature and Literature. A. 31. pp. 1-22(In Persian)

Nabi Lo, Alireza. (2011). The application of semiotic theory of Michael Rifater in the analysis of Nima's Phoenix poem. Linguistic research in foreign languages 1(2) 81-94. (In Persian)

Payandeh, Hossein (2008) "Criticism of the Poems of O Man, the Semiotics of Yushij from the Perspective of Semiotics", Academy Bulletin, Year 10, Issue (In Persian).

\_\_\_\_\_. (2018). Theory and Literary Criticism (An Interdisciplinary Textbook). Volume 2, First Edition, Tehran: Samt. (In Persian).

Riffaterre. Michel (2001), The Reasons of Poetry. Translated by Mohammad Motasem. second edition Muhammad V University: Faculty of Arts and Human Sciences in Rabat. (In Arabic)

Saadiyeh, Naimah. (2016), Strategy of the text of the model, Syria: Dar al-Hawar for publication and distribution. (In Arabic)

Saussure, F. (1999). Course in general linguistics (K. Safavi, Trans.). Tehran: Hermes. (In Persian).

Selden, Raman (2005), Guide to Contemporary Literary Theory, translated by Abbas Mokhbar, third edition, Tehran, Tarhe no. (In Persian)

المقالة الجاهزة للنشر